

الحشوية والوهابية

قلنا قام بين الصلحين احدٌ بتكرة اصلاحية او مشروع جديد ولم يقم في وجهه من ابناء
 جلده مناضٍ برص للفتنة كل مناص فيضده سبة يتقوّل عليه مخلق الافاويل
 وينقل هذه مختلف الاحاديث مما هو ليس من الحقيقة في شيء . فان كان من اهل الحق
 والسادد وضم يخرق في الرأي او من اولي الخير والصلاح ربي بشبهه في الدين . او كان
 من حملة العلم الصحيح غمطوا من قدره ولم يعنفوه وربما ألوا عليه طغمة الجهل وزعانف
 القوم فيذهبون بارائهم مذاهب شتى وقد يرسونه في الردى ليبتحن على العلم والدين جنابة
 تدور مع الاحتب كما وقع ذلك لكثير من مشاهير المشارقة والمعاربة
 على حين ان ذلك الصلح لم يأت امرًا اذا ياباه العقل والدين وما ذنبه سوى انه اتى
 بما لا عهد لابناء ازسطيد اولم يحدوا عليه آباءهم . وقد سمي حجة الاسلام الغزالي
 امثال هؤلاء المناهضين حشوية . وهم اليوم شروب فمنهم حشوية الدين وحشوية العلم
 وحشوية السياسة

واشد ما لي انصلحون من شيوخ السوء حشوية الدين الجامدين في سبيل الدعوة الى
 الحق وما نالهم من النكبات ماديا وادبيا . وسعا يحاول هؤلاء عرقلة مساعي اولئك او
 اضطهادهم وظفرهم باميتهم في بعض الاحايين فانهم يجازلون السخيل في النخط على تلك
 المهية الفكرية التي امتاز بها اولئك الصلحون عن غيرهم من البشر — الميزة التي ولدت لهم
 اعداء الداء يحدونهم في السر والضرار ويؤمنونهم بما هم منه براء كما هو الحال الآن في
 حشوية الدماشقة ورميهم علماء الاظهار وحرارهم الاخير بالوجهة تارة والزندقة تارة اخرى
 ألا وان التاريخ يعيد نفسه فقد مثل لنا ربي هؤلاء الحشوية للصلحين بالوهابية ربي الروائص
 لاهل السنة بالنواصب وتلقيب القدريه لم بالحجرة وتسمية الجبهة لم بالحسنة المشبهة .
 على ان هذه الافاويل لا تعطم من ندرهم ولا تقط من علمهم شيئًا بل على العكس من
 ذلك فانها تد تكون واسطة لرفع شأنهم وتائق شهرتهم كما قال الغزالي : " واستحق من
 لا يحد ولا يقدف واستحق من ياكفروا الضلال لا يعرف ذي داع آكل واحتل
 من سيد المرسلين (صلعم) وقد قالوا انه مجنون من المجانين واي كلام اجمل واصدق من
 كلام رب العالمين وقد قالوا انه اساخير الاولين . . . " ومن ذلك قول ابن حزم : " ومن
 حقق النظر وراض نفسه على السكنون الى الطقاتي وان آتتها في اول سدمة كان اغباطة

قدم الناس آياتاً أشد وأكثر من اغتباطهم بمدحهم آياتاً . . .

يداني مع كل هذا وذلك أراهم في حاجة شديدة تدلني إلى أن ألفت انظار الجمهور إلى أنه لا يسوغ الاعتداد في مثل هذه الحال على نقول الطرافين من أولئك الطعام الحشوية انصار الحزب القديم أو الاخلاص إلى الجلود على ما نقل عنهم هؤلاء ومن لفت أنهم من الغافة . إذ لو أخذنا القول على عراضه كما يلقي على مسامعنا جزافاً دون بحث ولا نظر لاختلط الخابل بانساب والعالم بالجاهل ولم نعد تميز بين من كان في قومهم مثال الكمال فاني بأعمال عظيمة واحسن صنعا وبين من كان شرراً مجسماً لمات له الأرض لئلاً وساء عملاً ولو توفى على جيلة الامر يجب ان قلب صفحات التاريخ ونقل ما أثر عنهم من نبي وقول وما ابتوا من عمل . ولا يكفي ذلك لمعرفة حقيقتهم تمام المعرفة بل يجب ان نستقرئ حركاتهم أيام حياتهم استقراءً حقيقياً دقيقاً ثم بعد ذلك نحول لنا ان نعمك عليهم يدان كنا تصورناهم حتى نتصور فان وجدناهم طبق ما يقال عنهم قبلنا وحوثنا مجرى الكارنا والأرفناء باخمس اقداننا وضربنا يد هرض الخائض

وما يجري هذا المجرى وتجدد التباينة بين واعطاء جانباً من التعصب والتدين مسألة (الوهابية) التي طار في صانه الاقطار نأماً واستلث زمانها (الحشرية) واصبحت تديرها ما شاءت وشاء ما افترى حتى ضمض الحق على طالبي نذهب بين جهل شيخ السرور واغراض اعداء التجديد . وما كان احرى بهؤلاء ان لا يجرضوا في هذه المسألة فقد آل نأ الوهابية إلى ان صار سمراً وفكاهات ومن ذلك ان كل من روى من المدرسين او الخطباء احاديث في الشرك جلياً او خفياً يتناجون بأنه رمز للوهبة ويسمونه (وهابياً) وهكذا اشاهتهم عن غرف القراءة العامة التي أسست في حاضرتنا حديثاً وتوهمت بها جرائم سورية وبيروت بانها تتدى الوهابية . ومن النكت الغريبة ان احد الشيوخ عنده لوح مكتوب عليه كلمة (يارهاب) وعليه اطار نفيس فقبل عنه انه لم يؤثر هذه القطعة الا لانه مغزى بالوهابية ومغرم . وكذلك من كان اسمه (عبد الوهاب) صار يقال له ان اياه كان وهابياً حتى أثر نسبة ابنه باسم زعيم تلك الفئة مع ان زعيمهم بدعي "محمد بن عبد الوهاب" فكان الاجدر تسميتهم (محمدية) . وهكذا قل عن تلقيهم الاحرام والتنعم واشباهها بانها جرائم الوهابية . ومثله تشهيرهم بان كل من هاجر من ربه الاستبداد تاريخاً من بلادهم من الوهابية وكذلك ابطال الحرية وخطباء الدستور مما يضحك الفكي ويبكي العاقل وهكذا الحال الآن فلا نسمع في المنتديات عامة كانت او خاصة الا الوهابية والوهبة

لكل من اتكرومكراً أو ناقش في أمر أو بحث في مسألة . وقد عرف الجميع من المسئلة بل اتلب على القائلين على الرومانية الأمر وانسكت انقضية اذ زرعوا في اذهان العامة من الرجال حتى النساء مفرداتهم وما يؤثر عنهم واصبح كثير يدفق في تلك المسائل ويبلغ بها ويمائل عنها انبياء الثورين ليصل الى اصلها . وكثير من اولي السذاجة والقطرة توهين بفضل تلك الثورة التي هاج ثاثرها منذ عهد غير بعيد

ولقد كان بعض الفلاسفة يسر جداً باشهار بعض المسائل ولفظ العامة بها اراضطهاد الحكومة لاجلها فيقول : لا انجح من ذلك لاشهار امرها وادخالها الى كل اذن ودار * وكان يقول : لو ضرب الكاثرون في وجه امر والقائمون عليه ماذا ينتج ثورهم وهاجهم من رد الفعل وانعكاس الامر عليهم لبعوا رؤسهم ولم يتبسروا بينت شفة *

قالوا : الحقيقة بنت البحث * نعم . وهذا ما حدا بي الى ان آتي في هذه المقالة على نفس من حقيقة امر هؤلاء الوهابية ليشين الرشد من النبي ويعلم اولئك المرهون ان الحق افساراً وان التاريخ لا يترك كبيرة ولا صغيرة الا احصاها . وبعد فنم اولئك الذين يقتري عليهم ما يقتري ؟

هم اولئك الطائفة الخبيلة التي لتذهب بمذهب الامام احمد وعقيدته لم يخرجوا عنها قيد شبر وهم يتبرأون من الشرك الجلي والخطي الذي حذر منه النبي (صلى الله عليه وسلم) وهم يستندون ان الله سبحانه اقرب الى الانسان من جبل الوريد وأنه على كل شيء شهيد وأنه امر الله بدهى وحده كما جاء في الآية : قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن * وفي أخرى * ادعوني استجب لكم * وأنه يتوسل اليه باسمائه الحسنى وصفاته العلى

هم اولئك الذين يقدمون احاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) وآثار اصحابه على غيرها ومذهبهم في صفاته تعالى مذهب السلف لا تشبيه ولا تمثيل * ليس كمثل شيء وهو السبع البعير * هم اولئك الذين على مذهب اهل السنة والجماعة (السلف) يتتروا المعزلة والخواارج وكل فرقته ليست على مشرب السلف الصالح ولا هم لطائهم الا انجحت في الاصول والفروع ولا لعائتهم الا السعي وراء الاكتساب والاتجار وهم لا يكون لهم اخ بنية ولا يشون بنجمة ولا تبلر عن أسلات الستمهم بوادى القذف ولا يلسون لاقسيم السنان فينهمكون في الشمس والموبقات وهم ليسوا بشعالب رؤفة يتكروا او يتخذون وهم احرار جادون في طلب العلم ابنا حلوا وحيثما وجدوا

وانك لا تراهم مرة لاصين او عابثين وهم يفرون من البضع فرارهم من المهدوم وبالجملة
 لماذا يقال عن اخلاص قوم عرفوا بالتمسك في الاسلام وهم في مقدمة كل طوائف ايماناً
 وابقاناً . ويرحم الله احد الافاضل حيث قال : " لو تجسم الاسلام بانسان لكان اهل
 نجد رأسه "

هذا ما نعرف عنهم كما دللتنا عليهم مصنفاتهم التي ألفها اهل الرأي الراجح والعلم الصليح
 منهم كما رأينا ذلك في غير واحد من التواريخ التي تبين سيرتهم احسن بيان كتاريخ
 (الجبرتي) وغيره . واذا لم تكن هذه الطائفة كما ذكرنا فليأتنا المعاندون ببرهان من
 كتبهم ينافض ما نسطره هنا او فليدلوا بحجة ما تخالف ما نقوله ان كانوا من الصادقين
 لست شعري بما يجيب ذلك المعاند الذي يرميهم بانواع الكفر والنلال اذا قلت : بانهم
 يشبهون الصلوات الخس باوقاتها ويؤدون زكاة اموالهم بالنصباها وانهم يصومون شهر رمضان
 ويؤدون البيت الحرام على الطريقة الماثورة ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً

ماذا يكون جوابي اذا رعت حقيرتي قائلاً انهم لثة يكدون ويكدهون في جهاد دذو
 الحياة وينارقون الاهل والاوطان ابناء النفع والافتخار والكسب من الللال فيشجعون بالفتور
 المشروعة ولا ينجيولون لشهائهم بل ولا يرضون ان يعيشوا عيشة الازلاء الاندال كلاً على غيرهم
 نحن نسأل ذلك الرجل الذي يرميهم بشبهة في دينهم : هل رأى واحداً منهم في حانات
 الخمر مثلاً مريبداً او بين اذرع المومسات ضاحكاً مستيشراً ؟ . او هل يقدر ان يثبت
 انهم كروا اموال الناس بالباطل واختلسوا المدارس باموالها واوقاتها

ولقد علم قيامهم بشعائر الدين في حلهم وترحالهم وتعليبهم في ذلك والشروع في معاملتهم
 كل من خبرهم كما عرف ذلك منهم معاملهم من التجار في كل قطر ومصر . بيد انه انقد عليهم
 مسائل اشهرت ويرى الجمهور فيها نظراً وقد كثرت عليهم الردود لاجلها وربما كان في تلك
 الردود شية من الحق ولكن على الباحث ان ينصف . والحق يقال ان زعيمهم الشيخ محمد بن عبد
 الوهاب لم يأت بشيء من صدره وانما دعا الى نصوص ظفر بها وهنر عليها وهي لمن تقدمنا من
 الائمة المشاهير عن سبوا على عصره بنحو سبائة سنة

ولا ريب ان من تقدمنا كانوا ائمة مجتهدين عرفهم اثارهم والمجتهد مأجور باتفاق علماء
 المذاهب على الاطلاق ولا ينكر على امام مجتهد على كل حال
 وانها لكلمة ذميمة فاه بها الامام مالك (رضي الله عنه) قائلاً : ما منا إلا من رد أو
 رد عليه إلا صاحب هذا القبر (يعني النبي صلم) والحق ضالمة كل احلر المشردة تؤخذ من

اي وعاء خرجت ومن اي صدر صدرت . وما طرأ الراد الا ان يبدأ امرى والنصيبة وان يقف عند حدود آداب الجدل والمناظرة وينظر في اقوال محاوره نظر النصف الحكيم وكما يجب ان يراجع الردود بحسب عليه ان ينظر في ردود الردود ليزداد بصيرة وعلمًا وبخيل له الحق قام الانجلاء

ولكن كان يؤثر عليهم تنطع وغنوة في بعض المسائل فما من احد الا وعدت عليه هذوات ما خلا المنصرمين . والاصل الاصيل هو الاضمام باصول الايمان وقواعد الايقان . وكل فرض تنظيمه وغلظه لهم لم ينفردوا بذلك اذ لم يكن مذهب من منتطعين خالين يرون ما هم عليه صوابًا وما لتبريم خطأ إلا ان كل منتطع في اي مذهب كان اول من يبرؤ منه المنصرون المعتدلون من اهل منعبه فاحر بغيرهم

وبكفي مريل الحق . وطالب الانصاف في شأن الوهابية ما كتبه شيخ الفقهاء الحنفية بمصر المؤرخ الشهير الامام الجبرتي لليتبطه النصف بدقة ولتأمل ما يقضيه العقلاء وما يحكم به المنصرون . وحرمان علي من لم يراجع تاريخ الجبرتي في شأنهم ان يهتهم رجسًا بالنسب وهو مطبوع ومشاور يمكن ان يستترى هذا البحث منه في نحو يوم فليتمل الطالب منه . ولينزع عنه نصيبه ليري صدق ذلك الفاضل بتولده * لو تجسم الاسلام باسان الخ . . .

ويعلم ان بعض الظن اتم

ما كان الجبرتي وهابيًا ولا نجدبًا ولا حنبليًا وانما كان حنبليًا بل مفتي الحنفية في مصر في عهد المرحوم محمد علي باشا الذي حاربه . ما منع الجبرتي وهو مفتي عاصمة مصر تدره عليه مراتب محمد علي ان يتكلم بالحق في الوهابية ومحمد علي يحاربهم ما احتفظ عليه بذلك ولا كاد ولا اصحمله السنو ولا رمته علاه الاضمر بالوجهة مع انتشار كتابه في ايديهم والشعب بنسخه وعدة الظفر به من اعظم انكروز العلية التي لتزين بها الكتاب لم ذلك ياترى ؟ . . .

لان محمد علي عاقل حكيم منصف محب للعلم والحقائق لا يرى ان حربهم الا لامر سياسي وهو الاستعمار وان لا حرب في المسائل الدينية ولان العلماء في الاضمر ائمة فضلاء يذنون لحق وينقادون له وهم يرون امثال ما يشره الجبرتي عنهم حقائق لا تشوبها شائبة وهم ولا ابياهم وبعد فلنا نقول ذلك تشبيهاً لم او تحريماً فان ذلك من شأن المشعبين الجامدين بل دلالة على مكان المدح وحقدراً من بخش الناس اشياءهم واستبراء للذين من فذف البريء وجهت المؤمن وليه ذلك عبرة لقوم يذكرون

باحث دمشقي